وفي القسم الثاني من القصة بعد خمسة عشر عاما من القسم الأول يستمر دون كيشوت في حماقته العمياء بينما يظهر تابعه سانشو بانسا بعض الجرأة في محاولة تبصيره ببعض الوقائع . ولكن الذي يتغير فعلا هو موقف المؤلف من البطل أوربما موقف العالم منه . هاهي مآزق دون كيشوت تنتهي بنهايات أقل ايلاما من مآزقه في الجزء الأول وكأن العالم أشفق عليه وانقلب موقفه من الغيظ والردع والتحطيم إلى الضحك منه وللتسلي به . وقد تجلى ذلك في مغامرته مع الأسود الملكية اذ فتح باب القفص على اسد مفترس جائع ولكن الأسد لم يلق اليه بالا . وفي النهاية يقيض له (دوق) عظيم تحقيق حلمه فيعامله معاملة الفرسان العظام ويحتفي به في وليمة فروسية كبرى وينصب تابعه سانشو بانسا اميرا على قرية صغيرة يتوهم المسكين انها جزيرته المنشودة .

وتنتهي تجربة التابع الأمين بمأساة موجعة تقوده الى اعتزال الحكم .

وفي نهاية الرواية يتطوع احد فرسان القرية لشفاء دون كيشوت من وهمه بعد أن شاعت قصته في البلاد . ويتحداه للمبارزة ويأخذ عليه عهدا ان يقلع لمدة سنة عن فروسيته في حال انهزامه . وفعلا يسقط دون كيشوت على اثر الطعنة الأولى من منافسه ويعود الى بيته محطم القلب والجسم ويشعر أخيرا بدنو أجله فينقطع عن قراءة الروايات ويعلن توبته ويكتب وصيته ويخص تابعه سانشو الأمين ببعض ميراثه وينص في الوصية على أن تحرم ابنة أخته من الميراث ان هي اقترنت بانسان يقرأ روايات الفروسية أوتساور نفسه أحلامهـا .

تعليق على الروايـــة :

تتألف رواية « دون كيشوت » من جزأين . وقد بدأ سرفانتس في تأليفها بعد ان جاوز الخامسة والخمسين من العمر وعاش حياة مليئة بالتجارب المريرة . ويبدو أن الكاتب كان ينوي صياغة القصة على شكل « حكايا وغبر » ، بل لعل بعض الظروف المصادفة أثرت في تسلسل أحداثها ، ولكن سرفانتس لم يخصص للضحك والمزاح الصرف سوى الفصول الخمسة الأولى من روايته . فقد ادرك هذا الكاتب العبقري منذ بداية الفصل السادس الامكانات الهائلة التي يوفرها له الموضوع المنتقى .

يسعى سرفانتس طوال الرواية الى اقناع القراء بأن السبب الوحيد الذي دفعه الى الكتابة كان الرغبة في الهزء من غباء روايات الفروسية وقتلها « بقوة الضحك » . فاذا اخذنا بعين الاعتبار أن اسبانيا شهدت مابين عامي ١٥٠٨ و ١٦١٢ ظهور حوالي مئة وعشرين